

تشكل الرمز المقدس في المخيال الديني

نماذج من الرموز المسيحية المقدسة

The formation of the sacred symbols in the religious imagination
-Chosen examples from the sacred Christian iconsمسعود بودريالة¹

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

Messaoudb04@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/07/12 القبول 2020/08/27 النشر على الخط 2021/01/15

Received 12/07/2020 Accepted 27/08/2020 Published online 15/01/2021

ملخص:

تشكل الرموز في الأديان أهم الدلالات على تشكل المقدس، حيث حاول الإنسان البدائي التعبير عن أفكاره من خلال تحويل كلماته إلى أصوات وأفعال وحركات رمزية، تختلف من أمة إلى أخرى في مدلولها، ثم حولها إلى أشكال وأعطى لها مدلولات مقدسة، والأمر بارز في الديانة المسيحية وما تحويه من الرمز في منظومتها، تحمل مدلولات مختلفة، تصب في تكوين المقدس في معتقداتها.

إشكالية البحث: كيف ظهر الرمز وأصبح له مدلول ديني؟ وكيف يُترجم هذا الرمز ويأخذ مدلوله من خلال التفسير المسيحي للرموز الأساسية؟
اقتضى البحث استخدام المنهج الإثنوغرافي الذي يمثل أداة الأنثروبولوجيين لدراسة جماعة اجتماعية ودينية معينة، و وصف الثقافات الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: الرمز، الدين، المقدس، المخيال، الدلالة.

Abstract:

Symbols in religions are considered the most important indications in the formation of the sacred, where the Neanderthal tried to express his thoughts by converting his words into symbolic voices, actions and movements, which differ from one nation to another in its connotation, then transformed them into forms and gave them sacred significances, and the matter is prominent in the Christian religion and the symbolism it contains in its system, which carries various significances that feed into the formation of the sacred in its beliefs.

The research problem: How did the symbol appear and obtained its religious significance? How is this symbol translated and takes its significance through the Christian interpretation of the basic symbols?

The research required the use of the ethnographic approach, which represents the tool of anthropologists to study a specific social and religious group, and to describe human cultures.

Keywords: Symbol, religion, sacred, imagination, significance.

1. مقدمة

عرف الإنسان موضوع الدين منذ القديم، تحت بواث أساسها الظواهر الطبيعية، ومسائل غيبية فسلك طرقاً متعددة للتقرب إليها، شملت في مجملها اعتقادات وسلوكاً، تحولت إلى رمزيات، ميزت شعوب العالم وأعطت للأديان صبغة رمزية، تحوي في مضمونها تفسيرات عميقة، حاول الإنسان البدائي التعبير عن أفكاره من خلال تحويل كلماته إلى أصوات وأفعال وحركات رمزية، تختلف من أمة إلى أخرى في مدلولها، ثم حولها إلى أشكال وأعطى لها مدلولات مقدسة، أصبحت دالة على معتقداته، والأمر بارز في الديانة المسيحية وما تحويه من الرمز في منظومتها، تحمل مدلولات مختلفة، تصب في تكوين المقدس في معتقداتها.

إشكالية البحث: كيف ظهر الرمز وأصبح له مدلول ديني؟ وكيف يُترجم هذا الرمز ويأخذ مدلوله من خلال التفسير المسيحي للرموز الأساسية التي تشكل منظومة المقدس في المسيحية؟

واقضى البحث استخدام المنهج الإثنوغرافي الذي يمثل أداة الأنثروبولوجيين لدراسة جماعة اجتماعية ودينية معينة، و وصف الثقافات الإنسانية، إلى جانب توظيف المنهج المقارن لمعرفة عوامل التأثير والتأثر.

2. مفهوم الرمز الديني وتشكله

1.2. مفهوم الرمز

جاء في لسان العرب أن: "الرمز: تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفيتين، وقيل: الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفيتين والفم. ورمز يرمز ويرمز رمزاً"¹. يعتبر "دوركهايم - Durkheim" الرموز ظواهر جمعية، فهي سابقة على وجود الأفراد تكون متضمنة في سلوك هؤلاء الأفراد وأفعالهم، فالشخص الواحد قد يعتنقها ويؤمن بأهميتها في حياته الخاصة بحيث يصبح الرمز الجمعي العام رمزاً شخصياً خاصاً بفرد معين، كما أنها في متناول الجميع، وتتأسس الرموز تاريخياً وتستخدم بصورة جماعية أو فردية².

أما "جينون - Guenon" فيعرف الرمز بأنه: "ليس الرمز إلا تثبيت حركة طقسية"، فالرمزية كانت بدايتها الكلمات التي توجه إلى حاسة السمع والتي مورست خاصة من قبل الشعوب البدوية، من خلال تفعيل ممارستها على عالم الحيوان المتحرك مثلها³، ثم انتقل الرمز بعدما كان معنى منشق في المجتمع إلى جزء من لغة ذلك المجتمع⁴.

ويميز الفيلسوف الفرنسي "بول ريكور" بين مستويات رمزية ثلاثة: المستوى الكوني الشامل، والمستوى الكتابي المرتبط بالمستوى الليتورجي، والمستوى السيكلوجي، وهذه المستويات نفسها موجودة في الرموز المسيحية، حفاظاً على المعيار الرمزي وعدم إلغائه،

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3. 1994، ج5، ص356.

2- إميل دوركهيم، الأشكال الأولية للحياة الدينية - المنظومة الطوطمية في أستراليا - تر: رندة بعث. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت. ط1. 2015. ص

139 - 141

3- لوك بنوا، رموز وأساطير. تر: فايز كم نقش، عويدات، بيروت، لبنان، ط1. 2001، ص39.

4- أحمد ديب شعبو، في نقد الفكر الأسطوري والرمزي (أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1. 2006، ص36.

وأيضاً يساعد المؤمن للعبور من المنظور إلى اللامنظور، ومن المحسوس إلى اللامحسوس، ويضفي على الاحتفال الليتورجي نسمة روحية سرية.¹

وفي التعريف المسيحي: "الرمز هو ما عينه الله إشارة إلى أمر أعظم منه عتيد أن يكون في نظام ملكوته وهذا سمي المرموز إليه، وقد يكون الرمز حدثاً تاريخياً مثل شرب شعب إسرائيل من الماء الخارج من الصخرة، فقد كان يرمز إلى شرب الماء الروحي من الصخرة التي هي المسيح (وَجَمِيعُهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتْهُمْ، وَالصَّخْرَةُ كَانَتْ الْمَسِيحَ).²، أو خدمة طقسية مثل ذبيحة خروف الفصح التي كانت ترمز إلى ذبيحة المسيح، أو شخصاً معيناً مثل ملكي صادق الذي كان يرمز إلى المسيح".³

ونفهم من هذا أن الرمز الديني هو كل ما يشير إلى جانب من الجوانب المتعلقة بالدين، أي هو ترجمة للأفكار والمفاهيم الدينية، وإذا خصصنا في هذا الصدد يكون الرمز كإشارة معبرة عن أمور عينها الله، ثم تحولت فيما بعد إلى علامات تعنون جملة من الاعتقادات والعبادات في كل ديانة من الديانات.

2. 2. مراحل تشكل الرمز الديني

بعدما كان الرمز مجرد أداة للتواصل بين بني البشر، اتسعت نطاقاته لتشمل جوانب عديدة من حياته، وبالأخص الجانب الديني كونه عرف التدين في عصور بدائية قديمة جداً، فأصبح للرمز صبغة دينية، وهذا ما اصطلاح عليه بالطوطمية⁴، التي تعرف بأنها: "رمز للإله أو المبدأ الحيوي للمجتمع... يعتقد أن الأسلاف قد انحدروا منه وتجسدت فيه روح العشيرة أو القبيلة".⁵

الطوطم: تمثيل منحوت أو ملون لحيوانات القوة أو أسلاف الحيوانات البشرية-للهنود الأمريكيين في الشمال الغربي، الذين يعتقدون أن الطبيعة بمرمتها لها حياة روحية، وتمثل الحيوانات الموجودة في أعمدة الطوطم الخاصة بها القوى الروحية لواقيات الحيوانات أو الأسلاف.⁶

وحسب "فرويد" وغيره من الأنثروبولوجيين فإن الطوطمية تقوم على ضريين من النظام، أولهما ديني وتحلوه العلاقة المتينة التي كانت سائدة بين الإنسان البدائي وطوطمه، وثانيهما اجتماعي من خلال تنظيم معين للعلاقات بين أفراد العشيرة فيما بينهم وفي علاقتهم بغيرهم من العشائر.⁷

1- الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. بيروت، لبنان. ط1. 2007 م. ص15.

2 - كورنثوس الأولى، 10: 4.

3- نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، دار مكتبة العائلة، القاهرة، ط 13. 2000 م، ص411.

4- طوطم: قيل إنها كلمة لاتينية أصلها Totem نسبة إلى النظام الذي يسمى Totemisme، وهو نظام تديني يرجع إلى تقاليد بدائية، اتخذها الأمم الغائرة في بطون التاريخ كنظام لها، فقد جعلت بعضاً من الحيوانات أو النباتات رمزا لها ثم لقبها لجميع أفرادها ثم فيما بعد قدسته وعبدته. (رؤوف شلي، إلهة في الأسواق، دار القلم، الكويت، ط2. 1983م، ص254).

5- محمد الخطيب، الأديان في المجتمعات البدائية، دار مؤسسة رسلان، دمشق، سوريا. ط1. 2017م، ص59.

6- سيغموند فرويد، الطوطم والتابو. تر: بوعلي ياسين. دار الحوار للنشر والتوزيع. اللاذقية، سوريا. ط1. 1983. ص 23- 26

7- بسام الجمل، من الرمز إلى الرمز الديني - بحث في المعنى والوظائف والمقاربات. مؤسسة رؤية، القاهرة، مصر. ط1. 2011م، ص76.

طغت الرمزية في الفكر الديني بصورة كبيرة عند الشعوب البدائية، وكان البابليون أكثر استخداماً لها، فجسموا الآلهة بحيئات بشرية بأشكال رمزية، بعدما كانت على شكل أشياء وحيوانات حلت محلها طبقاً لعلاقة بينهما ظاهرة أو حسية، أهمها: الأختام الأسطوانية والنصب التذكارية الأثرية المسماة "كودورو"، التي تعد بمثابة وثيقة مسجلة ومكملة بمشاهد تمثل الآلهة وما يتعلق بها، ومن مظاهر ذلك: تاجا مقرنا موضوعاً على عرش يرمز للإله "أنو" أو "أنليل"، و صولجاناً له رأس على شكل رأس كبش، يرمز إلى الإله "إيا".¹

كما رمز البابليون الرموز لأهتهم برموز عددية، ومن نماذج ذلك؛ وجود رقيم طيني ذا ترتيب خاص، وذلك بوضع أمام اسم كل إله رقماً حسابياً يمثله ويرمز إليه كعلامة في الكتابة، فعلى سبيل المثال: الإله "أنو" ميز بالرقم 60 الذي يعتبر عدد كامل في النظام الستيني في وادي الرافدين القديم، والإله "أنليل" ميز بالرقم 50، والإله "إيا" بالرقم 40، و "سن" بالرقم 30، و "شمش" بالرقم 20، "أداد" بالرقم 6، وأيضاً استخدامهم نظام آخر لتصوير وتجسيم الآلهة بصورة أكثر عمقا، والذي تمثل في النجوم، حيث تذكر أسطورة الخليقة عندهم أن النجوم هي صور الآلهة ورموزها. وهي رموزها، فمثلاً: الإله "أنو": يرمز له بالنجم "أوربابا" أي الفهد، و الإله "أنليل" يرمز له بالنجم "مارجيدا" أي العربة ويعني "الدب الكبير"، والإله "إيا" بالنجم سمكة "نون".²

3. مكانة الرموز في الديانة المسيحية:

لكل دين من الأديان خصائص تضيف عليه صبغة تميزه عن غيره، فتجعله ذخيرة في أعماقه، وأبرز مثال؛ الديانة المسيحية التي تحوي طلاسماً تُفسر وفقاً لرمزيتها ومدلولها، وأسباب ظهورها وتطورها ومجالات اعتمادها.

1.3. ظهور الرموز في المسيحية:

عرفت المسيحية في بداياتها أي قبل الاعتراف بها كديانة رسمية من قبل "قسطنطين" مجموعة من الاضطهادات القاسية، سواء في روما أو في مصر، مما اضطرتهم إلى عقد اجتماعات سرية في أماكن مختلفة كالسرايب والكهوف وبين المقابر، ومن خلال هذا احتاج المسيحيون إلى استخدام كلمات كرموز ترسم ولا ينطق بها ككلمة سر بينهم من أجل التعارف والاتفاق، ودلالة على انتماء الفرد إلى تلك الجماعة وليس غريباً عنها، وأيضاً لجأ الرهبان وغير الرهبان من الفنانين إلى رسم صور تمثل حوادث الكتاب المقدس.³

كما استعارت الكنيسة تعابير ومفردات من الحضارتين اليونانية واللاتينية، من أبرزها المفردات ذات الأصل اليوناني، فنذكر:⁴ إنجيل، أبوكاليس، ليتورجيا،⁵ أسقف،⁶ البارقليط،¹ أفخارستيا.²

1- جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، تر: وليد الجادر، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا. ط1. 2005م، ص89.

2- جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، المرجع نفسه، ص90، 91.

3- جورج فيرجسون، الرموز المسيحية ودلالاتها، تر: يعقوب جرجس نجيب، معهد الدراسات القبطية بجامعة الإسكندرية. مصر. ط1. 1964م، ص3.

4- الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع السابق. ص13، 14.

5- ليتورجيا: هي مصطلح أطلق على الخدمة العامة أو خدمة الله عن طريق الطقوس. (الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع نفسه، ص13).

6- أسقف: وهو المطران، ورئيس الأساقفة هو لقب المطران الأعلى الذي يعاونه أساقفة آخرون، وكلمة مطران هي مختصر للكلمة اليونانية "مطروفوليط" أو "متروبوليت" المشتقة من كلمة معناها المدينة الأم أو العاصمة الإقليمية. (الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع نفسه، ص14).

2.3. قونة الرموز المسيحية والغاية منها:

زحرت مكنتات الأديرة بكثير من الرسوم التي تزين المخطوطات القديمة، وقد اختلفت نظرات الرسامين، فكل له نظرتة الخاصة لتصوير الحادثة، وهناك من كان واقعيًا استخدم أشخاص الرواية دون غيرهم، ومنهم من كان خياليًا أضفى على القصة خياله.³ فقد ظهرت الرموز أولاً في الليتورجيا وفي تقاليد المآتم على شكل رسوم على المقابر، أو نحتاً على النواقيس، ثم في مجالات هندسة الكنائس، وفي الأيقونات والمنحوتات الخشبية، وفي الأواني الكنسية "الكأس والأغطية"، وفي عناصر الذبيحة (الخبز والخمر، والماء، والزيت)، وفي اللباس الكهنوتي البيعي، وفي الحركات التي يقوم بها المحتفل والشعب، وفي المنشورات الدينية وغيرها، وقد كانت الاحتفالات الطقسية في بداية الكنيسة مختصرة، فعلى سبيل المثال كانت المعمودية استحماماً فقط، والأفخارستيا وليمة.⁴ تأثر الفن المسيحي بالفن الإمبراطوري الشمولي في عهد "قسطنطين"، وتجلّى ذلك في رسم المسيح في مجده، آتياً على سحب السماء، ورافعاً صليب الفداء، بالإضافة إلى مراحل حياته الخلاصية: من البشارة، إلى الميلاد، والعمادة فالقيامة، أما الاحتفال بالأعياد، فلم يظهر إلا ابتداءً من القرن الرابع، ولكن بعد زوال الاضطهادات بين القرنين الرابع والثامن، تطورت الليتورجيا واختلفت من ثقافة إلى أخرى، ثم خلال القرون الوسطى عرفت ازدهاراً كبيراً حيث تم شرحها بشكل مفصل شرقاً وغرباً، ومع انتصار الكنيسة، وشيدت الكنائس الفخمة، وهذا جعل للليتورجيا صبغة عقدية، لكن العصر الكلاسيكي شهد انقطاعاً عن البعد الرمزي، مقارنة بالعصر الحديث الذي شهد تطورات على هذا الصعيد من ثقافة إلى أخرى، فعلى سبيل المثال نجد أن اللون الأبيض هو رمز الفرح في أوروبا، بينما في آسيا هو علامة للحزن، والأسد والحية يرمزان تارة للمسيح وطورا للشيطان وغيرها من الرموزات.⁵ يتبين من هذا أن الرموز المسيحية مرت بأطوار، فكانت أثناء الاضطهاد تشير إلى ما هو محسوس، وبعد زواله بدأت تنجر وراء اللامحسوس إلى أن أصبحت لها صبغة عقدية، أضفت عليها دلالات روحية، كما أصبح لها مدلولاً في شكلها، ومدلولاً في معناها، منها ما يحمل دلالة عقدية ومنها ما يحمل دلالة تعبدية.

3.3. الرموز ودلالاتها:

1- البارقليط: يطلق على من يتكلم باسم المتهم في المحكمة أي المحامي والمدافع، وهي تنطبق على يسوع لأنه يتدخل لصالح الخطاة لدى الأب السماوي، أما في إنجيل يوحنا فهي تشير إلى الروح القدس كونه شخص متميز عن الأب والابن، والبارقليط معناه المتجسد والمعزي والمنبئ. (الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع نفسه، ص14).

2- أفخارستيا: ومعناها شكران وهذا المصطلح استخدم في العهد الجديد للتعبير عن الشكر لله وتمجيده، حيث وصف بها الرسل عمل يسوع على الخبز والخمر في العشاء الأخير، فأطلقتها الكنيسة الأولى على الاحتفال بذكرى العشاء الرباني الذي كان يبدأ بشكر الله على أفضاله. (الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع السابق، ص14).

3- جورج فيرجسون، الرموز المسيحية ودلالاتها. المرجع السابق، ص3، 4.

4- الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع السابق، ص14، 15.

5- الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع نفسه، ص14، 15.

احتوت الديانة المسيحية رموزا كثيرة، تنوعت من الأشياء والأرقام والنباتات والحيوانات، إلى الصور البشرية نالت حظها من الرمزية، وهذا ما جعل المسيحية من الديانات الرائدة في تعداد الرموز، ويعود ذلك إلى تأثرها برموز الشعوب والأديان السابقة، إلى جانب البيئة الفلسفية التي نشأت فيها وأثرت في أبعاد رموزها.

1.3.3. الماء:

تعددت مدلولات الماء عند الأمم، خاصة الشعوب السامية، ففي الأساطير البابلية، كان هناك إله للمطر يدعى "حدد"، و الإله "أبسو" الذي يرمز إلى الماء الهادي أين تعوم الأرض الذي تمت على يده عملية الخلق، وذكر "هوميروس" أن أهل طروادة كانوا يرمون في أمواج الأنهار أحصنة حية إلى الآلهة البحرية، كما يعد "أخيلاوس" إله للأنهار، وفي الهند اعتبر الماء مصدر كل شيء وكل وجود وعنصر شفائي.¹

وفي اليهودية، ورد في سفر التكوين أن (وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ).²، فعيون المياه هي مكان اللقاء والعهد لله والإنسان، باعتبارها أمكنة مقدسة، أين تبدأ مشاريع الزواجات، وتبرم الاتفاقيات والعهود.

وفي المسيحية، يرمز الماء إلى الحياة والخصب، والنقاوة والتطهير، وبماء العماد يتم نزع الإنسان القديم بالتغطيس، ولبس الإنسان الجديد الذي هو على صورة الله ومثاله، وإن مزج الماء في كأس خمر هو رمز للماء الذي سال من جنب المسيح على الصليب، ورمز لشعب الله المتحد بذبيحة المسيح، فمنذ القرون الأولى استخدم المؤمنون الماء المقدس لوضع العروص التجريبية على الطيران، ومطاردة الأمراض، ودرء المزالق، وكذلك هناك مجموعة من المعجزات التي تكون عن طريق المياه المقدسة،³ وفي الكنيسة يبارك الكاهن المياه في كل مرة بصفته ممثلا للكنيسة المقدسة التي ترفع الصلاة إلى الرب المخلص، وترش أيضا على المؤمنين من أجل طرد الأرواح الشريرة.⁴

فالماء سبب كل بركة وثمر وسبب الحياة (لأني أسكب ماء على العطشان، وسيولا على اليابسة، أسكب روحي على نسلك ويركتي على ذريتك).⁵

2.3.3. الخبز

يرمز الخبز في العهد القديم إلى حكمة الله وعنايته بشعبه، بإعطائه المن لشعب إسرائيل في البرية⁶ (فَلَمَّا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ؟» لَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَا هُوَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي أَعْطَاكُمُ الرَّبُّ لِيَتَأْكَلُوا»).⁷

1- جان صدقة، رموز وطقوس "دراسات في الميثولوجيا القديمة"، رياض الريس للكتب والنشر، لندن. ط1. 1989م، ص18-20.

2- التكوين، 1: 2.

3- M.I abbé Martigny, Dictionnaire des Antiquites Chretiennes, librairie de l'Hachette et c i.e. boulevard saint, Germaine. Paris, 1865, n 077, P. 222.

4- الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع السابق، ص 42، 43.

5- اشعيا، 44: 3.

6- جورج فيرجسون، الرموز المسيحية ودلالاتها، المرجع السابق، ص44.

7- الخروج، 16: 15.

ويوجد عند اليهود ما يعرف بخبز الوجوه، وهو خبز الفطير الذي يقدم على مائدة الذهب ساخنًا كل يوم سبت، استنادًا إلى نص العهد القديم (وَتَجْعَلُ عَلَى الْمَائِدَةِ خُبْزَ الْوُجُوهِ أَمَامِي دَائِمًا)¹، وهو عبارة عن اثنا عشر رغيفا بقدر عدد أسباط بني إسرائيل، ويظن أن الأرغفة كانت تقسم إلى صفيين، وسميت خبز الوجوه لأنها موضوعة دائمًا أمام الرب.²

وفي التقليد المسيحي، الخبز هو رمز الحياة³، حيث قال يسوع عن نفسه: (قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا أَكَلُوا

الْمَنْ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَمَاتُوا. هَذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ، لِيَأْكُلَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ فَلَا يَمُوتَ. أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ. مَنْ يَأْكُلْ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَى إِلَى الْأَبَدِ »)⁴.

كما أعطى للخبز معنى جديدًا (وَأَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبَذَلُ عَنْكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي»)⁵، وتنسب ثلاث خبزات إلى القديسة مريم المصرية التي كانت تحملها أثناء صلاتها أيام حياة العزلة، فيشير خبز الحمل إلى جسد السيد المسيح، وكان الخبز يعطى للمتقدمين للتناول فقط، كما كانت قديما تقام وليمة محبة في بيت أحد الناس مباشرة بعد انتهاء القداس، ويكتب على أحد وجهي القربان عبارة يسوع المسيح ابن الله، ويعتقد الأرثوذكس والكاثوليك أن قربان الحمل يتحول تحولًا ماديًا إلى جسد المسيح خلال صلاة القداس، مثل الخمر الذي يتحول إلى دمه.⁶

3.3.3. الكأس

هي وعاء للخمر، أو للماء، وتستعمل للشرب، تكون من الزجاج، أو من الفخار، أو من المعدن، أو من الخشب⁷، لها مدلولات أهمها فيما يلي:

- كأس الشركة: كانت العادة الشرقية هي إدارة الكأس خلال المآدب أي الوجبات، حيث يشرب منها الجميع، فتكون رمزًا للإتحاد، وفي مآدب الأضاحي يكون الإنسان مدعوا لمأدبة الرب، كما ترمز إلى الإتحاد بإله العهد (الرَّبُّ نَصِيبُ قِسْمَتِي وَكَأْسِي. أَنْتَ قَابِضُ قُرْعَتِي)⁸.

- كأس الغضب: ورد أن الأنبياء كانوا يستخدمون الكأس كرمز لإتقاء غضب الله، لأنها تسكب خمرًا يفرح قلب الإنسان، (أَنَّهُ هَكَذَا قَالَ لِي الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: «خُذْ كَأْسَ خَمْرٍ هَذَا السَّخَطِ مِنْ يَدِي، وَاسْقِ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ أُرْسَلْتُ أَنَا إِلَيْهِمْ إِيَّاهَا»)⁹، فيكون نصيبهم من الكأس هو مشروب الموت المسمى خمر غضب الرب، الذين يرغمون على شربه.

1- الخروج، 25: 30.

2- قاموس الكتاب المقدس، المرجع السابق، ص 336.

3- أنطونيوس فكري، أسرار الكنيسة (الرموز في الكتاب المقدس والأيقونة القبطية). منشورات الكنيسة القبطية. القاهرة. 2009، ص 3.

4- يوحنا، 6: 48-50.

5- لوقا، 22: 19.

6- جورج فيرجسون، الرموز المسيحية ودلالاتها، المرجع السابق، ص 44، 45.

7- الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع السابق، ص 84.

8- مزمور 16: 5.

9- ارميا، 25: 15.

- كأس الخلاص: في العهد القديم كان التكفير عن الخطايا يتم بتقديم ذبائح، بان يجمع دم الضحايا في المناشل (وَيَجْعَلُونَ عَلَيْهِ جَمِيعَ أَمْتِعَتِهِ الَّتِي يَخْدُمُونَ عَلَيْهِ بِهَا: الْمَجَامِرَ وَالْمَنَاشِلَ وَالرُّفُوشَ وَالْمَنَاضِحَ، كُلَّ أَمْتِعَةِ الْمَذْبَحِ، وَيَبْسُطُونَ عَلَيْهِ غِطَاءً مِنْ جِلْدِ نُحْشٍ، وَيَضَعُونَ عَصِيَّةً).¹، وبعدها يسكب على الهيكل وعلى الشعب، كعهد يجدد الصلة بين الشعب المتطهر وبين الله، (فَأَخَذَ مُوسَى نِصْفَ الدِّمِّ وَوَضَعَهُ فِي الطُّسُوسِ. وَنِصْفَ الدِّمِّ رَشَّهُ عَلَى الْمَذْبَحِ. وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ. فَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ». وَأَخَذَ مُوسَى الدِّمَّ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: «هُذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ»²).

مثل هذه الشعائر كانت ترمز إلى تقديم يسوع المسيح كذبيحة للتكفير عن الخطيئة الأصلية لبني البشر وإقامة العهد الأبدي مع الله، وبالمطابقة تكون هذه الذبيحة هي الكأس التي يقدمها الأب ليشرها ابنه يسوع باسم جميع الذين يخلصهم، (اجْعَلْ سَيْفَكَ فِي الْغِمْدِ. الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الْآبُ أَلَا أَشْرِبُهَا؟)³، ومن هنا تصبح هذه الكأس كأس الخلاص⁴، (كَأْسُ الْخَلَاصِ أَتَنَاوَلُ وَبِاسْمِ الرَّبِّ الرَّبِّ أَدْعُو).⁵

4.3.3. الصليب:

يعتبر رمزا قديما عرفته البشرية منذ آلاف السنين، وكان موضوع خلاف بين العلماء في كيفية دخوله وتداوله في الفكر البشري، فنتج عن هذا ثلاثة فرضيات، هي: أن الإنسان وهو على أهبة اكتشاف النار، كان مكرها ليعمل في فترة الجفاف، فقام بحك قطعتين من الخشب بقوة، وذلك بإمساك إحداها بشكل عمودي والأخرى ممددة أرضا ومجوفة في الوسط، لكي تتلقى النهاية الدنيا للغصن العمودي، أما الفرضية الثانية هي أن الإنسان على كافة القارات، قام بمراقبة طلوع الشمس، ودورانها الظاهر حول الأرض وغياها، من خلال تحديد وجود أربعة نقاط رئيسية، وباستقامة هذه النقاط وجمعها تصوريا تشكل رمز الصليب، صورة للعالم أو على الأقل رمزا شمسيا، أما الفرضية الثالثة فترجع إلى مفهوم هندي قديم جدا، حيث ترمز العمودية للروحانية، وللرجولة وللنشاط، أما الأفقية فترمز للمادية، والنسوية، والسلبية، ويشكل جميع المتكاملين في الحالة الماثلة صليبا قائما.⁶

شاع استعماله منذ القرن الثالث تجسيدا لحادثة صلب المسيح⁷ حيث كان رمزا يشير لموت المسيح، ولعذابات، ولذبيحته من أجل خلاص كل إنسان، جامعا بذلك معاني الحب والوفاء والبذل والعطاء،⁸ ويرمز إلى محبة الله من خلال تدبير الله الخلاصي

1- العدد، 4: 14.

2- الخروج، 24: 6-8.

3- يوحنا، 18: 11.

4- معجم اللاهوت الكتابي، المرجع السابق، ص 649.

5- مزمور 116: 13.

6- فيليب سيرنج، الرموز في الفن _ الأديان _ الحياة، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق. سوريا. ط1. 1992م. ص 388، 389.

7- جورج فيرجسون، الرموز المسيحية ودلالاتها، المرجع السابق، ص 70.

8- الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع السابق، ص 22-24.

(كُلُّنَا كَغَنِمٍ ضَلَلْنَا مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا)¹، وذلك من أجل التكفير عن الخطيئة الأصلية من خلال التضحية بابنه يسوع (وفي الغد نظر يوحنا يسوع مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فقال: «هوذا حَمَلَ اللَّهُ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ»)²، الذي يعتبر ذبيحة حب (ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا)³، وكان نهايتها ارتواء الصليب الخشبي من دم الفادي، فقد سمع تنهدياته وهو يقول كلماته الأخيرة⁴، (إيلي، إيلي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟)⁵، فهو بهذا يستحق الشكر على الثمن الذي دفعه ابتغاء ابتغاء ذلك، حيث جاء (لَأَنَّكُمْ قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنِ. فَمَجِّدُوا اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ).⁶

1.4.3.3. المعاني اللاهوتية للصليب:

وفي التقليد المسيحي، يجسد تاريخ الخلاص وآلام المخلص، أي أنه لا يرمز إلى آلة الموت التي صلب عليها يسوع المسيح وحسب، فكذلك يرمز إلى قيامته والوعد بالخلاص لجميع المؤمنين، ويرمز تقاطع البعدين العمودي والأفقي إلى إمكانية التقارب واللقاء والمصالحة، فالشكل العمودي يرمز إلى علاقة الله بالإنسان والإنسان بالله، أما الأفقي فيدل على علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وهاتان العلاقتان في اجتماعهما تشكلان علامة الصليب وتمران بواسطته، حيث جاء (أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَا أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي).⁷، ويرمز أيضا إلى الفضائل الثلاث: الإيمان الراسخ، والمحبة الشاملة، والرجاء الطموح إلى الحياة الأبدية.⁸

كما له معاني أخرى نذكر منها⁹:

- يدل على العدل الإلهي، بأن المغفرة لم تكن على حساب العدل، بل العدل الإلهي استوفى حقه.
- هو إعلان للعقائد، فعند رشمه يقال باسم الأب والابن والروح القدس، وهذا إعلان لعقيدة الثلث، وأيضا هو إعلان لعقيدتي التجسد والفداء، فرشم الصليب من فوق إلى تحت ومن الشمال إلى اليمين، يدل على أن الله نزل من السماء إلى الأرض، فنقل الناس من الشمال إلى اليمين، أي من الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة.
- رمز الصليب هو تبشير بموت الرب عن بني البشر حسب وصيته، حيث جاء (فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ)¹⁰، ويذكر بأن عقوبة الخطية موت (وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا)¹، فالمسيح مات على الصليب والصليب ومنح البشر الحياة.

1- اشعيا، 53: 6.

2- يوحنا، 1: 29.

3- رومية، 5: 8.

4- الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع السابق، ص 22-24.

5- متى، 27: 46.

6- كورنثوس الأولى، 6: 20.

7- يوحنا، 14: 6.

8- الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع السابق، ص 22، 23.

9- جيلبير دوران، الأنثروبولوجيا رموزها أساطيرها انساقها تر: مصباح الصمد. مجد للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. ط3. 2006. ص 309

10- كورنثوس الأولى، 11: 26.

- هو رمز للقوة، فالقديس بولس الرسول يشعر بقوة الصليب، فيقول: (وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَحِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ).²
- كان في العهود القديمة علامة اللعنة والموت بسبب الخطية، ثم أصبح فيما بعد رمز لبركة الحياة الجديدة، فمن خلاله حمل الرب كل لعنات بني البشر، لكي يمنحهم بركة المصالحة مع الله، (لَا أَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءُ قَدْ صُوِّلْنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالْأَوَّلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالِحُونَ نُخْلَصُ بِحَيَاتِهِ!)³.
- يدل على الشركة مع المسيح وهذا من خلال قول القديس بولس الرسول: (مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاؤُ الْآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاؤُ فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لَأَجْلِي).⁴، وقوله أيضا: (لَأَعْرِفُهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلامِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ)⁵.
- يذكر بالخلاص الذي ناله اللص المصلوب مع الرب.
- يذكر بمجيء المسيح الثاني (وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ).⁶

2.4.3.3. علاقة الصليب بعقيدة الصلب:

ربطت العديد من الشعوب رمز الصليب بعملية الصلب، فكان معناه عند المصريين واليهود والرومان هو الخط من شأن المقتول ويظهر هذا من خلال صلبهم المجرمين والعبيد فقط، وعند الآشوريين والفرس، كان يستعمل لعقاب قواد الجيوش المنهزمين أو المتهمين بخيانة الوطن، واختلفت الشعوب في مدة إبقاء المصلوب على الصليب، فاليهود كانوا ينزلونه قبل يوم السبت، وإذا لم يمت يسارعون إلى كسر ساقيه وذراعيه ليموت، أما الرومان فيتركونه حتى يتعفن ويتلاشى كليا، والمقدونيون كانوا ينكسون رأسه إلى الأسفل.⁷

5.3.3. الدم:

يرمز عادة إلى حيوية الحياة، فكان يرش على الأرض اعتقادا بقدرته على الإخصاب من خلال استدعائه هطول المطر، وفي أساطير عديدة كان يمهر العقد بين فريقين بالدم.⁸

1- أفسس، 2: 5.

2- غلاطية، 6: 14.

3- رومية، 5: 10.

4- غلاطية، 2: 20.

5- فيلبي، 3: 10.

6- متي، 24: 30.

7- بطرس البستاني، دائرة المعارف، طبعة بيروت 1887. مج 11، ص 12.

8- الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع السابق، ص 92.

وفي التقليد اليهودي، كان بنو إسرائيل ملزمون بالتودد إلى الإله وإقامة علاقات حميمة معه لاتقاء شره و الاستقواء به وبسلطته، فعرف بالدم المسفوح على عتبات يهوذا ابتغاء مرضاة إلههم الذي افتتح سجل مطالبه بذبيحة دموية أعلنها حين اتصل بهم في مصر.¹

أما في المسيحية يرمز إلى الحياة البشرية التي عاشها المسيح الذي سفك دمه على الصليب من أجل خلاص البشر تكفيرا عن الخطيئة الأصلية (وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسَفِّكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا).²، ويشير لونه الأحمر إلى الشهداء الذين ماتوا دون أن ينكروا المسيح.³ فالدم رمز يذكر بفداء يسوع للبشرية تكفيرا عن الخطيئة الأصلية المتوارثة لبني البشر، أي أن له مدلول عقدي، فحل محله الخمر الذي يجسد دم المسيح في القداس،⁴ بعيدا عن تناول الدم مباشرة لأنه إشارة للحياة التي هي الله لذا لا يجوز شربه.⁵

6.3.3. العدد ثلاثة "3"

تعتبر عقيدة التثليث من الركائز والأسس التي تقوم عليها الديانة المسيحية، فهي عقيدة قديمة عرفت من الشعوب قبل ذلك، بدءا من الألف الثالثة ق.م.⁶، حيث يعد الأقباط الفراعنة أول من عرفوا موضوع التثليث⁷، فقد وجد عندهم العديد من التثليثات المؤلفة لإله واحد وربة وابنهما، نذكر منها: ايزيس، وزيريس وحورس.⁸

وكذلك عرفت الهندوسية ثلاثة ألوهات عليا تشكل الثالوث وهم: براهما (الموجود غير المتناهي)، وفيشنو — (الحافظ لهذا العالم)، وسيفا (المخرب)، وهؤلاء الثلاثة يتولون تدبير العالم معا.⁹

وبعدها انتقل التثليث إلى المسيحية وأصبح عقيدة، تتضمن إله واحد في ثلاثة أقانيم هي: الأب والابن والروح القدس، والتي قام عليها قانون الإيمان النيقاوي، بداية من مجمع نيقية سنة 325م، وقد ذكر الثالوث المقدس في مواضيع عديدة في سفر أعمال الرسل، منها: قصة شفاء الأعرج¹⁰، (لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الْأَزْمَنَةَ وَالْأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الْآبُ فِي سُلْطَانِهِ، حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ،

وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامَرَةِ)¹¹.

1- الأسعد العياري، الدم في النصوص المقدسة. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب. ط1. 2014 ص 30، 31.

2- متى، 26: 27-28.

3- جورج فيرجسون، الرموز المسيحية ودلالاتها، المرجع السابق، ص49.

4- الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. الرموز المسيحية. المرجع السابق، ص92.

5- أنطونيوس فكري، أسرار الكنيسة (الرموز في الكتاب المقدس والأيقونة القبطية). المرجع السابق. ص 11.

6- فيليب سيرنج، الرموز في الفن — الأديان — الحياة، المرجع السابق، ص446.

7- فيلوثاوس فرج، الود والاحترام بين المسيحية والإسلام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1. 2008م، ص127.

8- فيليب سيرنج، الرموز في الفن — الأديان — الحياة، المرجع السابق، ص446.

9- فيلوثاوس فرج، الود والاحترام بين المسيحية والإسلام. المرجع السابق، ص127.

10- فيلوثاوس فرج، الود والاحترام بين المسيحية والإسلام. المرجع السابق، ص150.

11- أعمال الرسل، 1: 7: 8.

4. علاقة الرموز بالأسرار الكنسية

تعد الأسرار الكنسية الأسس والركائز في العقائد المسيحية، لذلك فعلاقة الرموز علاقة وطيدة، فالأسرار تعد خصائص أساسية للديانة المسيحية، ومن الضروري أن ترتبط بالجانب الرمزي للمسيحية.

1.4. علاقة الماء بالمعمودية:

عرفت المعمودية في أديان أخرى قبل المسيحية، فعلى سبيل المثال، كانت في البوذية التبتية تمارس بمواد هي النبيذ والزيت والعسل والدم والبول من الياك، و في العبادة كان الملقنون يعمدون من خلال تغطيس أنفسهم في دم الثور المذبح، كما برزت المعمودية في ألغاز أورفيتش، وألغاز اليوسيس، وفي اليونان القديمة، وكذلك في أديان مصر وسوريا وغيرها.¹

وعند مجيء المسيحية استبدل الختان بالتعميد، بعدما كان علامة الإيمان عند بني إسرائيل، حيث أن علامة الدم الناجمة عنه لم تعد لها أهمية روحية في العهد الجديد، بل أصبحت المعمودية المدخل الحقيقي للمسيحية، وذلك أن العهد القديم احتوى على نصوص دلت على استعدادات المسيح القادم من جهة الطقوس التي تشير إلى معنى "الفادي" الذي سوف يتحمل خطيئة العالم من خلال موته، وبهذا كان الدم في العهد القديم رمزا لدم المسيح المخلص، حيث استوجب الدخول في الشريعة الموسوية الدم كعلامة للعهد من خلال الختان إشارة إلى حاجة الناس إلى المخلص، ثم فيما بعد صارت المعمودية هي ختان المسيح ودخول الرب يسوع إلى الملكوت، فتحولت عملية ختن المولود الذكر إلى نظافة لا إلى طهارة أو إيمان، وأصبح الإيمان يعرف بحفظ وصايا الرب وليس بالدم، استنادا إلى قول بولس: (لَيْسَ الْخِتَانُ شَيْئًا، وَلَيْسَتْ الْعُرْلَةُ شَيْئًا، بَلْ حِفْظُ وَصَايَا اللَّهِ).²، وبما أن دم المسيح يطهر الخطايا، فلا يمكن إدراك ذلك إلا بالماء لتجتمع في المعمودية أطراف رمزية ثلاثة هي الدم والماء والروح القدس³، (وَالَّذِينَ شَهِدُوا فِي الْأَرْضِ وَالَّذِينَ شَهِدُوا فِي الْأَرْضِ هُمْ ثَلَاثَةُ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَالثَّلَاثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ).⁴

والتعميد كان موجودا في اليهودية، ولكن بمعنى آخر يختلف عن معناه في النصرانية، فهو كلمة سريانية تعني الغطس في العهد القديم، واشتهر به الأسس⁵، فقد اعتبر توبة للقلب، من خلال الاغتسال، و ورد في الكتاب المقدس أن يحيى عليه السلام نعت يوحنا المعمدان، والذي عمد عيسى عليه السلام في نهر الأردن.⁶

1 - E. Royston Pike, Dictionnaire des religions adaptation Française de Serge hutin 'presses universitaires de France, Paris, 1954 , P. 37.

2- كورنثوس الأولى، 7: 19.

3- الأسعد العياري، الدم في النصوص المقدسة. المرجع السابق، ص50.

4- يوحنا الأولى، 5: 8.

5 - الأسس: "هم شعبة يهودية معاصرة للمسيح-عليه السلام- كانت تعيش في فلسطين، وكان أعضاؤها يواظبون على الصلاة ودراسة الكتب المقدسة، وقد عثر في وادي قمران على آثارهم سنة 1947م، وسميت بـ "مخطوطات البحر الميت"، ويعتقد أن يحيى-عليه السلام- من أتباع هذه النحلة". (بوعيشة أمهمان، عقيدة الصلب والفداء عند النصراني-دراسة تحليلية نقدية- رسالة ماجستير. جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة. 2002م. ص12).

6 - صبحي حموي اليسوعي، دليل عربي يوناني إلى الفاظ العهد الجديد. دار الشروق، بيروت، لبنان. ط3. 2014. ص472.

فالمعمودية هي أول الأسرار المقدسة، حيث كانت تسمى قديما الاستنارة،¹ وهي باب الحياة، أسسها يسوع المسيح وتعتبر شرط لاكتمال الإيمان في المسيحية، حيث جاء في حوار يسوع مع "نيقوديموس"²: (الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ. قَالَ لَهُ نِيْقُودِيْمُوسُ: كَيْفَ يُمْكِنُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنِ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟. أَجَابَ يَسُوعُ: الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ. الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ).³

والمعمودية هي غسيل من الخطايا، و موت وقيامة مع المسيح (أَمْ يَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلٌّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الْآبِ، هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ)⁴، كما أن نزول المعمد إلى الماء يشير لموته، وخروجه من الماء يشير لقيامته⁵، حيث ربط آباء الكنيسة رمزية الماء بوجود المسيح من خلال دلالات جديدة تصب في الجانب التاريخي، فيرى "ترتوليان" بأن الماء هو أول "محل للروح الإلهي الذي كان يفضلته عندئذ على سائر العناصر... وهذا الماء الأول هو الذي أنجب الحي حتى لا يبقى مجال لدهشتنا إذ نجد المياه ظلت تنجب الحياة أيضا في التعميد... ولذا، فإن جميع أنواع المياه تسهم من جراء امتيازها القديم، في سر تقديسنا، وذلك عندما يذكر عليها اسم "الله". وما أن يذكر هذا الاسم حتى يظهر "الروح القدس" من السماء، ويقف على المياه ويقدها بحضرتها، وعندما تتقدس المياه على هذا النحو تغمرها قدرة التقديس بدورها... وهذه المياه التي كانت تشفي آلام الجسد تشفي الآن آلام الروح. إنها كانت تنهض بالخلاص الزمني، وهي الآن ترمم الحياة السرمدية..."، وأعرب "يوحنا الفم الذهبي" عن تعدد قيم رمزية التعميد فقال: "التعميد يمثل الموت والقبر، الحياة والبعث... ونحن عندما نغطس رأسنا في الماء كما في قبر، فإن الإنسان القديم يغمس كله، يدفن كله، وعندما نخرج من الماء يظهر في الوقت ذاته إنسان جديد".⁶

يتبين مما سبق أن أغلب الأديان تتفق على أن الماء رمز للطهارة والصفاء والنقاء والتجديد، وبهذا استعملته المسيحية في التعميد كتطهير للروح من الخطيئة المتوارثة من أجل التجديد.

2.4. علاقة الخبز والخمر بالأفخارستيا:

تعتبر الأفخارستيا أحد الأسرار الكنسية السبعة في المسيحية، وهي عبارة عن عشاء رباني يتضمن خبزا وخمرا، تعود عادة تناولهما إلى اليهود قديما، حين كانوا يتناولون الخبز والخمر عند تقديم التعازي والمساواة لمن مات له قريب أو فقد صديقا، وقد كان الرب ينهى قديسيه عن ممارسة هذه العادة لاتقاء شر البلية واستبعاد توقع حدوثها، (نَهْدُ سَاكِتًا. لَا تَعْمَلْ مَنَاحَةً عَلَى

1- صبحي حموي اليسوعي، دليل عربي يوناني إلى الفاظ العهد الجديد. المرجع نفسه، ص35.

2- Georges Grente, Les Sept Sacrements, librairie Artheme Fayard, Paris, 1952, p. 20.

3- يوحنا، 3: 3-5.

4- رومية، 6: 43.

5- أنطونيوس فكري، أسرار الكنيسة (الرموز في الكتاب المقدس والأيقونة القبطية). المرجع السابق، ص 2.

6- مرسيا إلياد، المقدس والعادي، ترجمة: عادل العوا، م، دار التنوير، ط1. 2009. ص161، 162.

أَمْوَاتٍ. لُفَّ عَصَابَتَكَ عَلَيْكَ، وَاجْعَلْ نَعْلَيْكَ فِي رِجْلَيْكَ، وَلَا تُعْطِ شَارِبَيْكَ، وَلَا تَأْكُلْ مِنْ خُبْزِ النَّاسِ¹، كما كانوا في عيد الفصح يأكلون مع خروف الفصح فطيرا ويشربون خمرا،² (وَقَالَ لَهُمْ: «شَهْوَةٌ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَكُلَ هَذَا الْفَصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أُنَافِسَ، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لَا أَكُلُ مِنْهُ بَعْدَ حَتَّى يُكْمَلَ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ. ثُمَّ تَنَاوَلَ كَأْسًا وَشَكَرَ وَقَالَ: خُذُوا هَذِهِ وَافْتَسِمُوهَا بَيْنَكُمْ، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لَا أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ حَتَّى يَأْتِيَ مَلَكُوتُ اللَّهِ»)³، شبيه بما كانت النساء في اليونان يقمن به عند الاحتفال بإلههم "ديونيسيوس" يمسكن ماعز أو ثور أو رجل يعتقدون أن الإله تجسد فيه، ويقمن بتمزيقه ثم شرب دمه وأكل لحمه، اعتقادا بحلول الإله في جسدهن، تحقيقا للتمازج الروحي مع "ديونيسيوس" الذي مزق نفسه، وأيضا عند الفرس كان يقوم أتباع "ميترا" بأداء هذه الشعيرة.⁴

وتعتبر الأفخارستيا من ركائز المسيحية وذلك من خلال الإيمان بنظرية استدعاء حلول الروح القدس على القرايين، إذ يستحيل الخبز والخمر إحالة سرية على جسد المسيح ودمه المقدسين، بأن يتحول الخبز إلى جسد، ويتحول الخمر إلى دم، (مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. كَمَا أُرْسَلَنِي الْآبُ الْحَيُّ، وَأَنَا حَيٌّ بِالْآبِ، فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي).⁵، حيث قدم يسوع المسيح جسده على خشبة الصليب، وسفك دمه من أجل آثام البشرية.⁶

وجه الشبه بين الدم والخمر هو أنهما يجملان اللون الأحمر وكلاهما حياة للجسم الذي يجري فيه، فالخمر هو حياة الكرمة، والدم هو حياة الجسد، كما أن المسيح شبه نفسه بالكرمة قائلا: (أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَامُ)⁷، وسميت عصارة الكرمة والعنب في الكتاب المقدس دم العنب (رَابِطًا بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ، وَبِالْجَفْنَةِ ابْنَ أَتَانِهِ، غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ، وَبَدَمَ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ).⁸

وبهذا تم تأسيس صورة الفداء من خلال الجمع بين صورة العشاء الرباني المتضمن للخبز والخمر، وصورة عملية الصلب بتضحية الواحد من أجل المجموعة، فتحول الخبز إلى جسد المسيح مثلما تحول الخمر إلى دمه.⁹

أما كسر الخبز في بداية الكنيسة، فكانت عبارة يراد منها الأفخارستيا، أي يسوع هو الغذاء الحقيقي للمسيحي، استنادا إلى ما ورد في النصوص الإنجيلية¹⁰: (فَإِنَّا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لِأَنَّا جَمِيعًا نَشْرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ)¹¹. وأيضا (هَذَا

1- حزقيال، 24: 17.

2- الأسعد العياري، الدم في النصوص المقدسة. المرجع السابق، ص 71، 72.

3- لوقا، 22: 15-18.

4- ول ديورانت، قصة الحضارة- حياة اليونان. تر: زكي نجيب محفوظ. دار الجيل، بيروت، لبنان. ط 1. 1992. مج 3، ج 6، ص 339..

5- يوحنا، 6: 56، 57.

6- الأسعد العياري، الدم في النصوص المقدسة. المرجع السابق، ص 23.

7- يوحنا، 15: 1.

8- التكوين، 49: 11.

9- الأسعد العياري، الدم في النصوص المقدسة. المرجع السابق، ص 73.

10- الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. المرجع السابق، ص 39-40.

11- كورنثوس الأولى، 10: 17.

هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ وَلَا يَمُوتَ. أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنَّ أَكْلَ أَحَدٍ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ.¹

ومنه فالخبز والخمر رمزان يشكلمان سر الأفخاريسيا، ويعطيان المعنى الحقيقي لها في المسيحية، فبتناولهما يحل يسوع في جسد كل مسيحي من أجل الحياة الأبدية، كما نستنتج أن عادة تناول كانت سائدة في أديان أخرى بنفس الاعتقاد ويكمن الاختلاف فقط في مادة التناول، ويفسر هذا تأثير المسيحيين بالأهم الوثنية السابقة.

5. خاتمة

يمكن حصر الخاتمة في مجموعة من النتائج أبرزها:

- بداية الرموز كانت مع الإنسان البدائي في شكل كلمات مترجمة إلى إشارات حركية بغرض التعبير عن أفكاره، إلى أن أصبحت رموزا اجتماعية تحتل جزءا من لغة المجتمع، ثم أخذ مكانته المقدسة بعد أن تشكل في الطوطم، وأصبح له قراءة اجتماعية ظاهرة، وبعد خفيا كرمز ديني مقدس.
- تبين لنا من البحث أن الرموز المسيحية مرت بثلاثة أطوار: ابتداء بفترة الاضطهاد التي تميزت فيها بالبساطة مركزة على ما هو منظور ومحسوس فقط، وفي الفترة بين القرنين الرابع والثامن الميلادي تمايزت فيها الرموز وأخذت الليتورجيا الصبغة العقدية، وفي فترة القرون الوسطى تطورت فيها الرموز من خلال شرحها بالتفصيل وتحولها نحو اللامنظور واللامحسوس متضمنة مدلول روحي سري من خلال القراءات البابوية.
- إن مستقبل الرمز الديني بحسب الدراسات الأنثروبولوجية يكمن في جانبه المقدس (الطابو) فإذا فقد ذلك أصبح مجردا من رمزيته الدينية، لذلك نجد أهل الأديان مع مرور الأزمان يحاولون إعطاء أبعاد جديدة للرموز لتكون لها دافعا لبقاء قدسيتها، لتساير تطور الفكر البشري.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية والمعربة

- 1 - أحمد ديب شعبو، في نقد الفكر الأسطوري والرمزي (أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1. 2006م.
- 2 - الأسعد العياري، الدم في النصوص المقدسة. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب. ط1. 2014 .
- 3 - الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية. بيروت، لبنان. ط1. 2007 م.

¹ - يوحنا: 6: 50، 51.

- 4 - إميل دوركهام، الأشكال الأولية للحياة الدينية- المنظومة الطوطمية في أستراليا- تر: رنده بعث. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت. ط1. 2015.
- 5 - أنطونيوس فكري، أسرار الكنيسة (الرموز في الكتاب المقدس والأيقونة القبطية). منشورات الكنيسة القبطية. القاهرة. 2009.
- 6 - بسام الجمل، من الرمز إلى الرمز الديني - بحث في المعنى والوظائف والمقاربات. مؤسسة رؤية، القاهرة، مصر. ط1. 2011م.
- 7 - بطرس البستاني، دائرة المعارف، طبعة بيروت 1887. مج11.
- 8 - جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، تر: وليد الجادر، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا. ط1. 2005م.
- 9 - جان صدقة، رموز وطقوس "دراسات في الميثولوجيا القديمة"، رياض الريس للكتب والنشر، لندن. ط1. 1989م.
- 10 - جورج فيرجسون، الرموز المسيحية ودلالاتها، تر: يعقوب جرجس نجيب، معهد الدراسات القبطية بجامعة الإسكندرية. مصر. ط1. 1964م.
- 11 - جيلبير دوران، الأنثروبولوجيا رموزها أساطيرها انساقها تر: مصباح الصمد. مجد للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. ط3. 2006.
- 12 - رؤوف شلبي، آلهة في الأسواق، دار القلم، الكويت، ط2. 1983م.
- 13 - سيغموند فرويد، الطوطم والتابو. تر: بوعلي ياسين. دار الحوار للنشر والتوزيع. اللاذقية، سوريا. ط1. 1983.
- 14 - صبحي حموي اليسوعي، دليل عربي يوناني إلى الفاظ العهد الجديد. دار الشروق، بيروت، لبنان. ط3. 2014.
- 15 - فيلوثاوس فرج، الود والاحترام بين المسيحية والإسلام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1. 2008م.
- 16 - فيليب سيرنج، الرموز في الفن _الأديان _الحياة، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق. سوريا. ط1. 1992م.
- 17 - لوك بنوا، رموز وأساطير. تر: فايز كم نقش، عويدات، بيروت، لبنان، ط1. 2001م.
- 18 - محمد الخطيب، الأديان في المجتمعات البدائية، دار مؤسسة رسلان، دمشق، سوريا. ط1. 2017م.
- 19 - سول ديورانت، قصة الحضارة- حياة اليونان. تر: زكي نجيب محفوظ. دار الجليل، بيروت، لبنان. ط1. 1992.

مراجع أجنبية

-Georges Grente, Les Sept Sacrements, librairie Arthème Fayard, Paris, 1952.

رسائل جامعية

- بوعيشة أسمهان، عقيدة الصلب والفداء عند النصارى-دراسة تحليلية نقدية- رسالة ماجستير. جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة. 2002م.

قواميس عربية

- 1 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3. 1994.
- 2 - نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، دار مكتبة العائلة، القاهرة، ط13. 2000.

قواميس أجنبية

- 1 - E. Royston Pike, Dictionnaire des religions adaptation Française de Serge hutin 'presses universitaires de France, Paris, 1954 .
- 2 - M.l abbé Martigny, Dictionnaire des Antiquites Chretiennes, librairie de l'Hachette et c i.e. boulevard Saint Germaine. Paris, 1865, n 077.